الغابة في الشعر الرومانسي

طالبة الدكتوراه منا مصطفوي منش
جامعة آزاد الاسلامية فرع آبادان ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ إيران
الدكتورة رحيمه چولانيان (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد في جامعة آزاد الاسلامية فرع آبادان ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ إيران
Rahimehchoulanian@yahoo.cpm
الدكتورة سهاد جادري
أستاذ مساعد في جامعة آزاد الاسلامية فرع آبادان ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ إيران
sohadjaderi@yahoo.com

Forest in Romantic Poetry

Mona Mostafavi manesh
PhD student at Azad Islamic University, Abadan Branch, Department of Arabic Language and Literature, Iran
Dr.Rahimeh Choulanian (responsible writer)
Department of Arabic Language, Abadan branch, Islamic Azad University Abadan, Iran,
Dr.sohad jaderi
Department of Arabic Language, Abadan branch, Islamic Azad University Abadan, Iran,

الملخص:

كانــت النظــرة الرومانطيقيــة إلى الطبيعة تتمثل باعتبارها كائناً حياً، فهو يرى فيها أصله و يعتبرها أمّه الحنون، فالطبيعة تستحضر في الشعر بإعتبارها ملجأ الشاعر و مهربه في صخرة النجاة و مهد القيم الأصيلة، فالعودة إلى الطبيعة كفيلة بتحقيق السعادة التي ينشدها الرومنطيقي، فالسعادة عنصر مفقود وجده الرومنطيقيون في الطبيعية.

وكان للغاب في الشعر الرومانسي نصيب أوفر و تحدثوا هؤلاء الشعراء عن الغاب كثيراً، فالشاعر الرومانسي نظر إليه في طبيعته الرائعة و تحدث معه، ثم وصف ما نظر و سمع أو دحس، فأصبح الغاب أليفه و أنيسه في كل لحظاته الروحية، حيث أنشد أعذب أغانيه و أرق قصائده معبرة عن مشاعره وأحاسيسه الصادقة و فجاءت هذه المقالة على طريقة التحليل الوصفي لبيان دور وصف الغابة في الشعر الرومانسي.

الكلمات المفتاحية: الرومانسية، الشعر، الغابة.

Abstract:-

Romantic poets' view of nature was that they considered it as a living creature, so he saw his principle in it and it was considered to be his compassionate mother. So nature manifested itself in poetry as the shelter and escape of the poet in the trench of salvation, and it was the cradle of original values. Returning to nature was the pursuit of happiness that the Romantics sought. Fortunate was a lost element that Romantics found in nature.

The forest in romantic poetry had a greater share and these poets talked about the forest a lot. So the romantic poet looked at his beautiful nature and talked to it, then he described what he had seen, heard, and felt. Forest was his companion and monsieur at all his spiritual moments. To the point where he sang her the latest poetry and the most delicate rhymes, which was a translation of his honest feelings. This article presents a descriptive analysis to describe the role of forest description in romantic poetry.

Keywords: Romantic, Poem, Forest.

المقدمة:

لقد كانت الطبيعة، و مازالت منبعاً مهماً للإلهام لكافة الشعراء في كافة العصور والأزمنة والأمكنة، حيث كان الشعراء، و لازالوا، يجدون في الطبيعة وسيلة مناسبة لشرح خلجات نفوسهم وبيان أحاسيسهم فكانوا يرتمون في أحضانها فيعكسون لنا صوراً جميلة منها إنطبعت في قلوبهم و ظهرت على ألسنتهم.

و قد ظهرت المدرسة الرومانسية و برزت معالمها في الشعر و النثر و تجلت خصائصها بوضوح في كل الاعمال الأدبية فهام الشعراء بخيالهم الخصب و تطايروا في الطبيعة قاطفين من أزهارها أجمل الألوان الشعرية و آخذين من رحيقها أحلي و أجمله و تأججت عواطفهم لكل محب طموح و صار شعارهم الحب و الود بين جميع المخلوقات فلا مجال للبغض و الحقد فتألموا لأوجاع المتفجعين و كتبوا أجمل المقاطع مفاجاة الأحزان البائسين، فقد كان الاتجاه الرومانسي مرآة عاكسة لصور المجتمع بكل أطيافه.

وفي هذا البحث يتناول وصف الطبيعة (وصف الغابة) لدي شعراء المدرسة الرومانسية.

١- اهداف البحث:

يهدف هذا البحث بيان وصف الطبيعة في المدرسة الرومانسية التي كانت ثورة على النمط الكلاسيكي القديم بكافة أساليبه و نظرته للحياة، معتبرة الإنسان الذي هو جزء من الطبيعة، محوراً في التفكير الأدبي منه تنطلق الحياة و من خلاله تُلمس؛ و الطبيعة أمه التي يرتمي في أحضانها هروباً من زحمة الحياة الصاخبة الممسوخة و الخالية من عاطفة أو إحساس.

٢- أسئلة البحث:

- هل يكون الشعر العربي الرومانسي تطبيقاً للشعر الرومانسي الغربي؟
- هل عالجت المدارس الرومانسية قضيه شعر الطبيعة؟

٣- فروض البحث:

- تفترض الدراسة أنّ التيار الرومانسي في الشعر العربي الحديث ليس تطبيقاً حرفياً للمذهب الرومانسي في الشعر الغربي، بل هو تيار أصيل في الشعر العربي.

- كما تفترض الدراسة أن المدارس الرومانسية قد عالجت قضية مفهوم الشعر في الشعر العربي فوق الرؤية الرومانسية على إعتباره من أهم المذاهب الشعرية.

٤- منهج البحث:

يستخدم الباحث في هذا البحث، المنهج التحليلي و يعتمد على تحليل الابيات من جهة مدلولاتها اللغوية و التراكيب.

٥- البحث:

يتمحور البحث حول أهم الابيات لألمع شعراء المدرسة الرومانسية في الطبيعة.

٦- المدرسة الرومانسية:

هو المذهب الأدبي الذي ظهر في أروبا- و بخاصة في فرنسا- بعد ظهور المدرسة الكلاسيكية، والرومانسية يقابلها الواقع و هي مشتقة من رومانس ورومانسي، وهي شيوب العاطفة والاستسلام للمشاعر والاضطراب النفسي والفردية والذاتية بل هي عالم الخيال و الحلم، وقد عرفت الرومانسية ((الابتداعية أو الإبداعية)) بسبب أنها تعد ابتداعاً.

خصائص المدرسة الرومانسية:

و قد تميزت هذه المدرسة بخصائص عدة و منها:

١- غلبة الخيال و تمجيد العاطفة حيث تكثر فيه الشكوى والحزن والألم والحنين والحرمان.

٢- التجديد والابتكار في الأسلوب والألفاظ و محاربة التقليد، والتركيز على التلقائية والموهبة.

٣- الوحدة العضوية (الأفكار والعاطفة والموسيقى) والتعبير فيها، يمتاز بالظلال والإيحاء.

٤- ظهور شخصية الشاعر، فهي تعبير عن ذات الأديب و نوازعه.

٥- اللغة فيها غريبة من لغة الحياة اليومية.

٦- تعدد الأساليب، و تنويع القافية.

٧- يقل عند الرومانسين تشخيصهم للمعاني المجردة.

٨- التأثر بالطبيعة و الهيام بها و الهروب إليها.

٩- من الناحية الفنية تنادي بتحطيم قيود الكلاسيكية.

١٠- إتخاذ الشعر وسيلة التعبير لانه لغة القلب.

و في ما يلي سندرس تأثرهم بالطبيعة و الهروب إليها.

الطبيعة:

إنّ النظرة إلى الطبيعة عند شعراء التيار الرومانسي يتجاوز الموقف المادي المحسوس و النفاذ إلى ما وراء المحسوسات على اعتبارها من أهم الموضوعات التي عني بها شعراء هذا الاتجاه، فكلهم أحبّ الطبيعة و عشقها، بل منهم من حاول أن يمتزج بها و يذوب فيها. و قد كانت الطبيعة عندهم مهرباً يلوذون بصفائها من كدرة الحياة، و يغسلون في طهرها ما يصيبهم من رجس العيش، و يجدون في رحابته متنفساً لما يعانون من ضيق و تأزم. كل هذا بما يخلعونه عليها من خيال مجنح، هو الذي يجعل لحديثهم عن الطبيعة قيمة إبداعية يكاد يفتقرها الموروث الشعري العربي القديم. (سعيد، ١٩٨٦، ٢٧)

كان الشاعر الرومانسي عميق الاحساس بالطبيعة في جميع مظاهرها و راحوا يستلهمونها ويستوحون أسرارها.

ومن أسباب أحبّ الرومانسيون الطبيعة و أشادوا بها، و فهموا أن عواطف الناس والشعراء تكون متسقة مع صور الطبيعة الجميلة الخالدة، فكان هيام ورد ذورث بالطبيعة التي يراها ينبوع الشعر الحق، ومال هذا الفهم الجديد للشعر و رسالته، وامتزاج عواطف الشاعر بالطبيعة، ذلك الفهم الجديد الذي نقله و تأثر به الرومانسيون. و كان هذا الفكر النقدي الذي حمل رسالته شكري و الذي يعلي من شأن الطبيعة حيث يقول عن الشاعر: ((... ولكنه رسول الطبيعة ترسله مزوداً بالنغمات العذاب، كي يصقل بها النفوس و يحركها و يذيدها نوراً و ناراً. فعظم الشاعر في عظم إحساسه بالحياة... فإذا أردت أن تميز بين جلالة الشعر و حقارته، فخذ ديواناً من الشعر و أقرأه. فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة، مثل النجم و السماء أو البحر فاعلم إنّه خير الشعر.)) (شكري، ١٩٦٠، ٢٨٧-٢٨٨)

لذلك موضوع الغاب من أهم المواضيع التي عالجها شعراء التيار الرومانسي في الشعر العربي الحديث و هي من أبرز سمات المدرسة الرومانسية.

وفيما يلي سندرس هذه الآراء و نبينها من خلال أبيات لشعراء المدرسة الرومانسية:

ومن هولاء الشعراء أبوالقاسم الشابي، الذي كان للغاب في شعره نصيب أوفر و هو من الشعراء الذين تحدثوا عن الغاب كثيراً، حيث لايكاد يخلو شعره من هذه الكلمة؛ فهو ألف الغاب ألفةً روحية و ركن إلى أحضانه و استشعر حنانه و سبّح بجماله و روعته و ناجاه كحبيبة جميلة أو أمّ حانية يلتمسُ الغاب لديه، فنظر في طبيعته الرائعة و تحدث معه، ثم وصف ما نظر و سمع أو أحس، فأصبح الغاب أليفه و أنيسه في كل لحظاته الروحية السامية، حيث أنشد أعذب أغانيه و أرق قصائده معبرة عن مشاعره و أحاسيسه الصادقة.

و لو أمعنّا النظر في ديوان أبي القاسم الشابي، لرأينا أن مكونات هذه النزعة تتمثل في عوامل مختلفة. منها جهل شعبه الذي أزعجه و جعله أن يلوذ بالغاب، و فيه يقول مخاطباً شعبه:

أَنـــت رُوحٌ غَيبـــةٌ تكـــرهُ النُّـــور، وتَقْضِـــي الـــدُهُور فِـــي ليـــلِ مَلْـــسِ...

فِـــي صـــباحِ الحَيـــاةِ ضَـــمَختُ أَكـــوابِي وأَترْعتُهـــا بَخِـــمرةِ نَفســـي...

(الشابي، ٢٠٠٥، ٩٤)

ومن ثم بعد أن ييأس من هذا الشعب الجاهل، يفضل العيش في الغاب على البقاء بينهم، حيث يقول:

إِنَّـــني ذَاهِـــبٌ إلى الغَـــابِ يـــا شَـــعبي لِأَقضـــي الحَيـــاةَ وَحـــدِي، بِيـــأسِ

إِنَّـــني ذَاهِـــبٌ إلى الغَـــابِ، علـــى فِـــي صَـــميمِ الغَابـــاتِ أُدْفِـــنُ بُؤسِـــي

(الشابي، ٢٠٠٥، ٩٤)

والشابي في قصيدته (إلى الغاب) يشير إلى الشعور الذي ينتابه عندما يكون في الغاب بين صفوف النخيل والتلاع الخضر والآجام، إنّه شعور يملأ عليه دنياه بهجة وسروراً ويسوقه إلى عالم من الخيال ينسي فيه الشاعر كل همومه وأحزانه.

فِـــي الـــغَابِ دُنيـــا لِلخيـــالِ و لِلـــرؤي و الشِّعـــــرِ و الـــتَفْكيرِ و الأحـــــلامِ
فِـــي الغَـــابِ، فِـــي الغَـــابِ، الحَبيـــبِ و إِنَّـــهُ حَـــرمُ الطَبيعـــةِ و الجَمـــالِ السَـــامِي
طَهِـــرتُ فِـــي نَـــارِ الجَمـــالِ مَشـــاعِري ولَقيـــتُ فِـــي دُنيـــا الخَيـــالِ سَـــلامِي

(المصدر نفسه، ١٤٢)

إن الشابي في هذه الأبيات يرى الغاب قبساً أضاء الطريق أمام نفسه التائهة في الظلمات الحالكة، كما يراه وسيلة طهرت نفسه من الأدران و الأوساخ التي لحقت بها بسبب مجالستها جلساء السوء، ثم يشير إلى أن الغاب معبد الروح والنفس والفكر الذي يجد فيه الشخص الراحة و الطمأنينة ويتخلص به من هموم الحياة وأعباء المجتمع.

و لأن الغاب يعرف معنى الحياة و قدر الشاعر و مكانته، فيحق للشاعر أن ينشد الطيور شعره لا الناس و يجاريها و يتناغم معها:

سَـوفَ أَتلُـو علـى الطُيـورِ أَناشِـيدي، وأَفْضِـــي لَهـــا بِأَشـــواقِ نَفْســـي
فَهِـي تَـدرِي معـنى الحَيـاةِ، و تَـدرِي أَنَّ مَجَـــد النُفـــوسِ يقِظَـــةُ حِـــسِّ

(الشابي، ٢٠٠٥، ٩٤)

وفي مكان آخر يعد الشابي سبب تفضيله الحياة في الغاب، الفساد الذي قد إستولي على شعبه. وكان الشابي يرى أن شعبه يعيش عيش الجماد وأن القبائح والخبائث والأكاذيب والرزائل الأخرى قَد جعلت فضاء الحياة عفنة، فلا سبيل للخلاص إلا اللجوء إلى الغاب وطبيعته النقية:

لَيـتَ لِـي أَنْ أَعـيشَ فِـي هَـذه الـدُنيا سَـــعيداً بِوحـــدتِي وانْفِـــرادي
أَصـرِفُ العُمْـرَ فِـي الجِبـالِ وفِـي الغَابَـاتِ بَـــينَ الـــصِنُوبَرِ الـــمَيادِ
وأُغَنِّـــي مَـــعَ البَلابِـــلِ وفِـــي الغَـــابِ، وأُصْـــغِي إلى خَريـــرِ الـــوَادِي

(نفس المصدر، ٦٧)

و لهذا نرى الشابي يربط بين الغاب و بين نفسيته و تجربته الشعورية و يتابع شعراء المهجر في محاولتهم الإمعان في الهروب من المدينة و من واقع الحياة الأليم و من دنيا الحقائق المجردة إلى الغاب، حيث الطبيعة تتجلي في أبهي مظاهرها. (هدارة، ١٩٩٤، ١٣٣)

مَـــاذا أَودُّ مـــن المَدينَـــةِ، وهـــي، لا، تَعنُـــو لِغَـــيرِ الظَـــالمِ الشَّـــريرِ؟

(الشابي، ٢٠٠٥، ٨٥)

و من أسباب تفضيل الغاب على البقاء في المدينة كما يظهر في أشعار الشابي هو أنّ الغاب كان في نظرته دنيا الخيال والرؤى والتفكير والأحلام:

فِـــي الغـــابِ، دُنيـــا لِلخيـــالِ، و لِلـــرؤي، والشِّـــــعر، والـــتَّفكيرِ والأَحـــــلامِ

(الشابي، ٢٠٠٥، ١٤٠)

كان الشابي غارقاً في الغاب و طبيعته الخلابة فيري فيه ما يرى في نفسه من فرح أو ترح. فيصبح الغاب أحياناً معبّراً عن مشاعره و أحاسيسه. كما يرنو زماناً إلى الأفق و يشاهد فيه تلك الكآبة التي تنشبت في قلبه.

وجَلَسْـــتُ السِـــــنديانَةُ وَاجِمـــــاً أَرنُـــو إلى الأُفُـــقِ الكئيـــبِ، أَمَـــامِي

(نفس المصدر، ١٤١)

ونرى أوج هذه النزعة الطبيعية في تقَديس الشاعر الغابَ وتمجيده وفيه يقول:

المَعبـــدُ الحَـــي المُقَـــدَّسُ هَهُنـــا يـــا كـــاهِنَ الأَحْـــزان والآلامِ

(نفس المصدر، ١٤٢)

هذا و إن ما يسترعي إنتباهنا ههنا، هو أن هذه النزعة الطبيعة و الرحلة إلى الغاب والتحدث عنه في شعر الشابي تكشف لنا عن تأثره بالمدرسة الرومانسية و خاصة شعراء المهجر. ولكن يظهر في أشعاره و لاسيما في قصائد ((أغنية الرعاة)) و ((في ظلّ الغاب)) و((إرادة الحياة)) أن تأثره بجبران خليل جبران و آراءه كان أكثر. (خفاجي، دون تا، ١٤٩)

ومما جاء في الحديث عن الغاب في شعره، نستنتج أنّ الغاب في شعره رمز بساطة الحياة أو نفس الحياة الريفية الواقعية، حيث يجب على الإنسان أن يخلص نفسه من كل القيود والأكبال المدينة و الحضارية و أن يختار لنفسه حياة ريفية.

نترك الشابي و نتناول شاعراً رومانسياً حالماً آخر، و هو إيليا أبو ماضي الذي أحب الطبيعة فغناها أجمل شعره و رأي في هدوئها و روعتها ما تقرّبه نفسه. أعجبته في بساطتها و جمالها و بعدها عن أدران الحياة و أكدارها، فكان ينشد الراحة بين أفيائها، و الهدوء بين

مناظرها، فألهمته صوراً رائعة وأخيلة مجنحة و معاني خلاقة تسمو بالإنسان إلى مراتب السمو و الجلال، و هو يتناوله من وجوه شتى فيصف روائها، و يصف مناجاة الحياة فيها، و يستخلص منها العبر و العظات. (برهومي،١٩٩٣، ٦٤) و إذا تطرقنا إلى ديوانه رأينا أنه في فترة من فترات حياته يتخذ الطبيعة مثل بقية الرومانسيين، مقياساً للكمال الإنساني و يجعل هذا الا تجاه ديدناً و ديناً لنفسه. و ينصح الانسان أن يتشبه بالطبيعة في صورها العديدة، من تراب و نهر و غدير و نجم.

تَتَلمـذْتُ لِلإنسـان في الـدَهْرِ حُقْبَـةً ... فَلَقـنّني غَيّـاً وعَلَّمَنـي جَـهلا

نَهـاني عَـن قَتـلِ النُفـوسِ وعِنـدَما ... رَأى غـرّةً مِنّـي تَعلَّـمَ بِـيَّ القَـتلا

وذَمَّ إلى الـبرقِ ثُـمَّ إسْـتَرقّنِي ... وصَـوّرَ ظُلمـاً فِيـهِ تَمجيـده عَـدلا

(أبوماضي، بلاتا، ٥٩٨/٣)

واختار دين الطبيعة عندما رأه قائماً على الإيثار و التضحية:

و شَـاهَدتُ كَيـفَ النَهـرُ يُبْـذِلُ مَـاءَه ... فَـلا يَبتَغـي شُـكراً ولَـا يَـدَّعِي فَضْـلا

وكَيْـفَ يُـزينُ الطـلُّ وِرْداً و عَوسَـجاً ... وكَيـفَ يُـروّي العَـارِضُ الـوَعرَ و السَـهلا

(مصدر نفسه، ٥٩٩/٣)

أصبح دينه كدين الغدير، ترتوي منه الطير و الإبل و يغتسل فيه الذئب، و أصبح دينه كدين الشهب لا تحابي مسافراً على مسافر، و كالغيث يروي الأقاحي و الشوك. و قَد كان أبو ماضي يصرح بأنّه وجد الحقيقة في الطبيعة، و وجد الحياة المثالية في أن يعيش حسب الطبيعة أو الغاب و أن يعرف من خلالها الحب الذي لا ينتظر و يعنف الإنسان حتى إستكشف نفسه تحت أضواء جديدة، هي أضواء العقل، فثار على الغاب، حين وجد نفسه و في دور العقل تحطمت نزعته الرومانطيقية أو كادت، و ملك عليه الشك و الحيرة أقطار نفسه، فلم يعد الغاب و لا المحبة قادرين على مؤاساته. سئم أولاً الناس، و ما في حياتهم من تناقض و تزوير، و خيم الضجر على نفسه.

سَـئِمتْ نَفسِـي الحَيـاةَ مَـعَ النَّـاسِ، ... ومَلَّـتْ حـتى مِـنَ الأَحبـابِ

وتَمشَّـتْ فـيها الـمَلالَةُ حـتى ... ضَـجَرتْ مِـنْ طَعـامِهُمْ والشَّـرابِ

(أبوماضي، بلاتا، ١٤٩/١)

و كان من الطبيعي أن يولّي وجهه شطر الغاب، بذلك حدثته نفسه فأطاع رغبتها و في صحبتها قضي وقتاً جميلاً في الغاب في جوار الغدران و الأعشاب.

وَقَضَّـــينَا فِـــي الغـــابِ وَقْتـــاً جَمـــيلاً ... فِـــي جـــوارِ الغِـــدران والأَعشـــابِ

تَـــارةً فِـــي مـــلاءةٍ مِـــنْ شُعـــاعٍ ... تَـــارةٌ فِـــي مُـــلاءَةٍ مِـــنْ ضَـــبابِ

(مصدر نفسه، ١٥٠)

و معنى ذلك، أن الرجل الذي سئم الناس، كيف حياته حتى أصبحت كالطبيعة، و حتى كاد يتمثل مظاهرها من شعاع و نسيم و جدول. ولكنه ما لبث أن وجد نفسه تأبي الذوبان في الطبيعة بل لا تريد ذلك لأن الملل عاد يساوره)):

إنَّمـــا نَفْسِـــي الَـــتي مَلَّـــتْ العُمـــران ... مَلَّـــتْ فِـــي الغـــابِ صَـــمت الغَـــابِ

فَـــأَنا فِيـــه مُســـتَقِلٌ طَليـــقٌ ... وكَأَنِّـــي أدَبٌ فِـــي سَـــردَابِ

(مصدر نفسه، ١٥٠)

((واللافت للنظر أن أبا ماضي بعدما اشتدت حيرته حول الحياة، أنتجت هذه الحيرة له قصيدة ((كن بلسما)) قصيدة تتحطم فيها الطبيعة تحت مطارق الشك. مكافأة، كالزهرة الفواحة و البلبل المترنّم:

عُـــدَّ الكِـــرامَ المُحســـنينَ وقِسْهُـــم ... بِهِمَـــا تَجـــدْ هَـــذينِ مِنـــهُم أَكرمـــا

يـــا صـــاحِ خُـــذْ عِلـــمَ المَحبـــةِ عَنـــهما ... إنِّـــي وَجَـــدْتُ الحُـــبَّ عِلمـــاً قَيِّمـــا

أحبِـــبْ فَيَغـــدو الكُـــوخُ قَصـــراً نَـــيرا ... أَبغِـــضْ فَيُمَســـي الكَـــونُ سِـــجْناً مُظلمـــا

(مصدر نفسه، ٦٥٧)

ومن خلال الحب عرف أبوماضي الله جل ثناءه:

أَنَـــا بِالحَـــبّ قَـــدْ وَصَـــلتُ إلى نَفسِـــي ... وبِالحُـــــبِّ قَـــــدْ عَرفْـــــتُ اللّه

(مصدر نفسه،٧٨٠)

تعـالى إنَّ رَبَّ الحُـبِّ يَـدعونا إلى الغَـابِ ... لِكَي يَـمزُجُنا كَالماءِ وَ الخَمرَةِ في كَاسِ

وَيَغدو النورُ جِلبابُكِ فِي الغَابِ وَجِلبابي ... فَكَم نُصغِي إلى النَاسِ وَنَعْصي خَالِقَ النَاسِ

(مصدر نفسه، ٤٩٨)

و كلّ فلسفة أبي ماضي في هذه الفترة تدور على الحب و علاقته بالطبيعة أو الغاب. كما أنّ دعوته إلى الحب الإنساني تتمازج مع الحب في الطبيعة و تتعانق اللهفة إليه مع الدعوة إلى الغاب.

و ظل أبو ماضي في هذا الدور العاطفي ينادي: المحبة... المحبة... إنّها هي بنت الطبيعة و يمجّد الغاب و يقَدسه:

وصَـــلاتِي الَـــذي نَقُـــولُ السَّـــواقِي وغِنَـــائي صَـــوتُ الصَّـــبَا فِـــي الغَـــابِ

(مصدر نفسه، ١٤٩)

فبعد أن كان الشاعر يمجد الشهب والسحب والغاب لخيرها، وتحقق المساواة والمحبة في قلوبها، عاد يحدثنا أنها مثلة في الحيرة والشك والجهل:

قَـــد رَأَيـــتُ الشُّـــهبَ لاتَـــد ري لِمـــاذا تُشـــرِقُ

و رَأَيـــتُ السُّـــحبَ لَـــا تَـــد ري لِمَـــاذا تُغْـــدِقُ

و رَأَيـــتُ الغـــابَ لَـــا تَـــد ري لِمَـــاذا تُـــورِقُ

فَلِمـــاذا كلُّهـــا فِـــي الجَهـــلِ مِثلـــي لَســـتُ أَدري

(أبوماضي، بلاتا، ١٩١/١)

((ثم تسلل الشك إلى حقيقة اللذة التي كان يجدها في أحضان الطبيعة، عندما يسمع غناء البلابل و حفيف الأوراق و يرى الأنجم في الظلماء تبدو كالمشاغل.

أهذه اللذة التي يحسها متأتية منها أم منه، تضائل فضل الطبيعة على الإنسان لأنّها تحوي مثله الصريح و الزائف، و لافرق بينه و بين البحر و الأرض، و في الكون حقيقة واحدة لاغير، هي النفس، صورة كل شيء، هي الذات الانسانية التي تجسدت الكون)).(عباس إحسان و نجم محمد يوسف، ١٩٨٢، ٨٤-٨٥)

و اتضح عجز الغاب مرة أخرى حين لم يجد فيه الشاعر السعادة التي ينشدها. فقَد فتش عنها طويلاً في المظاهر الطبيعية ولكن لم يجدها:

ذَهَـبَ الرَبيـعُ فَلـم تَكـنْ فِـي الجَـدولِ الشَّـادِيّ ولا الـرَوضِ الأَغَـنِّ المُمْـرِعِ

وأَتَـــي الشِّـــتَاءُ فَلَـــمْ تَكـــنْ فِـــي غَيمَـــهِ البَـــاكي، ولا فِـــي رَعْـــده المُتَفَجِّـــعِ
وعَلِمْـــتُ حِـــينَ العِلـــمُ لا يجـــدي الفَـــتى أَنَّ الَـــتي ضَـــيعْتَها كانـــت مَعِـــي

(أبوماضي، بلاتا، ٣/ ٤٩٤)

و هكذا أثبتت الطبيعة أنها عاجزة لا تستطيع أن تمدّ الشاعر بالتعزية و النسيان أو بالسرور و المتعة أو بالسعادة و حلت النفس محل الغاب و أصبحت هي الصورة الكمال فيها تكمن السعادة و المتعة و الفضيلة.

و لذلك تغير الغاب في نظر هذه النفس و أصبحت لا تراه عالماً للكمال، كما كانت تفعل من قبل.

أما ميخائيل نعيمه فهو يصور لنا التجاوب مع الغاب و طبيعته الخلابه كما يصور لنا صداقة الغاب و نزاهته في تحية أشجاره و مناجاة أطياره و مصافحة أزهاره إيانا. (خفاجي، ١٩٨٦، ٣١٢).

أَشـــــجَارُ الـــــغَابِ تُحَيينَـــــا وطُيـــــورُ الغَـــــابِ تُناجِينَـــــا
وزهـــــور الغـــــاب تُصـــــافحنا وتُـــــصافحها وتُهنّينـــــا

(نعيمه، ٢٠٠٤، ٤٠)

((وأما عبدالوهاب البياتي، فهو بدأ حياته شاعراً رومنسياً يفر من واقع الحياة إلى الطبيعة وخاصة في ديوانه ((ملائكة و شياطين)) ثم إستحوذ عليه التيار الواقعي. (هداره، ١٩٩٤، ٤٩).

و في عهده الرومانسي يقول:

عَينَاك بَاسِمَتان مِثْلَ بَنفسَج يَتَفتّح
فِي الغَابِ... فِي اللَّيلِ العَميق
فِي مَعبدِ الحُبِّ السَحِيق
حَيثُ السَّعادَةُ لاتَنام
إلاّ على سُرُرِ الغَرام

حَيثُ الأَزهارَ لاتَفيق

إلاّ على هَمسِ الطَرِيق

(البياتي، ١٩٩٠، ٥٠)

و أمّا نسيب عريضة فإنه رأي في الغاب أثناء لحظة من لحظات الصراع و الشك، مجالاً للتعري أي التجرد من الحجب الكاذبة، و طرح التصنع و التكلف. و في ذلك يقول:

فَصَـــاحَتْ الـــنَفْسُ بِـــيَّ و قَالَـــتْ ... مَـــا لِـــي و لِلنَـــاسِ و الزِّحَـــام

أَصِـــبْتِ يـــا نَفْـــسُ فَـــاثْبَعِيني ... فَلَـــيسَ كالغَـــابِ مِـــنْ مَقَـــام

يـــا غَـــابُ جِئنَـــاك لِلتَعـــرِّي ... أَنَـــا و نَفْسِـــي و لَـــا حَـــرّام

(عويضه، بلاتا، ٤٥)

بينما ندره حداد يرى في الغاب موطناً للحب، بعد أن عجز عن يجد الحبّ بين الناس. و في قصيدة ((يدعونه الحب)) يصور لنا الاختلاف بين عالمي الانسان والغاب.

فَتَّشْـتُ فِـي النَّـاس عَلـى ضَـائِعِ ... عَرفْتُـهُ بِالسَّـمعِ لا بِالنَظَـرِ

يَدعُونَـهُ الحُـبَّ و كَـمْ مِـنْ جَاهِـلٍ ... مِثْلِـيَ يَظُّـنُ الحُـبّ بَـينَ البَشَـرِ

فَتَّشْـتُ عَنـهُ طُـولَ عُمـرِي فَلَـمْ ... أَجِـدْ لَـهُ فِـي النَّـاسِ أَدنَـى أَثَـرِ

(حداد، ١٩٦٧، ٥٥)

ويظهر الغاب في الشعر العربي الرومانسي، إمّا رمزاً لبساطة الحياة و إما رمزاً للرجوع إلى الحياة الطبيعية أي نفس الحياة الريفية و قَد يكون وسيلةً لتحطيم الثنائية أو رمزاً للحياة المطلقة اللامحدودة.

نتائج البحث:

١- يبدو من هذه الدراسة قد أصبحت الغابة رمزاً عاماً للطبيعة في نفوس شعراء الرومانسية و لاسيما شعراء المهجر حتى لو إختلفت صورته في آثارهم.

٢- من الشعراء الذين أكثروا في قصائدهم التحدث عن الغابة، هو إيليا أبوماضي وأبو القاسم الشابي، و الغابة في الشعر الشابي لا يعني الحياة المطلقة اللامحدودة بل هو

إمّا رمزٌ لبساطة في الحياة أو مرادف للرجوع إلى الحياة الطبيعية أي نفس الحياة الريفية.

٣- إن الهدف المشترك الذي سعي إلى نيله جميع الشعراء الرومانسيون من خلال الحديث عن الغابة، هو الرجوع إلى البساطة البدائية للحياة.

في المذهب الكلاسيكي، و تقويضاً لمبادئه و أركانه، كما عرفت ((بالمذهب التعبيري)) و يراد به التعبير عن عواطف الأديب وعوالمه الذاتية.

قائمة المصادر والمراجع

١- أبوماضي، إيليا، (بلاتا)، ديوان إيليا أبوماضي، ج١، بيروت، دار العودة.

٢- برهومي، خليل، (١٩٩٣م)، إيليا أبوماضي شاعر السؤال و الجمال، بيروت، دارالكتب العالمية.

٣- البياتي، عبدالوهاب، (١٩٩٠م)، ديوان عبدالوهاب، ج١، ط الرابعة، بيروت، دار العودة.

٤- حداد، ندره، (١٩٦٧م)، ديوان أوراق الخريف، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة.

٥- خفاجي، محمد عبدالمنعم، (١٩٨٦)، قصة الأدب المهجري، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

٦- خفاجي، محمد عبدالمنعم، (دون تا)، الادب العربي الحديث، ج الثاني، مكتبة الكليات الأزهرية.

٧- سعيد، خالده، (١٩٨٦م)، حركية الإبدع – دراسات في الادب العربي الحديث، ط٣، بيروت، دارالفكر للطباعة و النشر و التوزيع.

٨- الشابي، ابوالقاسم، (٢٠٠٥م)، ديوان أبي القاسم الشابي، شرحه: احمد حسن بسبح، ط٤، بيروت، دار الكتب العلمية.

٩- شكري، عبدالرحمن، (١٩٦٠م)، ديوان عبدالرحمن شكري، جمعه و حققه: نقولا يوسف، مراجعه و تقديم، فاروق شوشه، مجلد ٣، المجلس الأعلي الثقافة.

١٠- عباس، إحسان و نجم محمد يوسف، (١٩٨٢م)، الشعر العربي في المهجر، ط٢، بيروت، دار صادر.

١١- عريضه، نسيب(بلاتا)، ديوان الارواح الحائرة، عمان، دارالغزو.

١٢- نعيمه، ميخائيل، (٢٠٠٤م)، همس الجفون، ط٦، بيروت، نوفل.

١٣- هداره، محمد مصطفي، (١٩٩٤م)، بحوث في الادب العربي الحديث، بيروت، دار النهضة العربية.